Afro-Asian Journal of Scientific Research (AAJSR)
المجلة الأفروآسيوية للبحث العلمي
E-ISSN: 2959-6505
Volume 3, Issue 3, 2025
Page No: 366-375
Website: https://aajsr.com/index.php/aajsr/index
SJIFactor 2024: 5.028 ISI 2024: 0.580 معامل التأثير العربي (AIF) 2023: 0.51

تدبر القرآن الكريم حقيقته وعلاقته بالتفسير

أحمد امحمد عبدالسلام اسبيقة[1]*، أحمد امحمد رمضان همّاد[2]
[1,2] قسم التفسير والحديث، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الأسمرية الإسلامية، زليتن، ليبيا

Contemplating the Holy Quran, its Reality and its Relationship to Interpretation

Ahmad Emmhimed Asbiga[1]*, Ahmad Emmhimed hammad[2]
[1,2] Department of Interpretation and Hadith, College of Da'wah and Fundamentals of Religion, Asmariya Islamic University, Zliten, Libya

*Corresponding author	ahesb1981@gmail.com	*المؤلف المراسل
تاريخ النشر: 2025-09-12	تاريخ القبول: 2025-09-07	تاريخ الاستلام: 2025-07-20

الملخص

إن هذه الورقة هي دراسة تفسيرية تأصيلية تسعى إلى التأصيل لمفهوم في غاية الأهمية يقوم على بيانه تحقيق المقصد من نزول القرآن الكريم، وهذا المفهوم هو التدبر، الذي هو واجب شرعي خاطب الله عامة الناس وخاصتهم، وبهذا تظهر لنا أهمية هذه الورقة في كونها إلى جانب أنها دراسة تأصيلية تعد دراسة تطبيقية، هذا وقد اعتمدت هذه الورقة على المنهج الاستقرائي الاستنباطي كما استعانت بالمنهج الوصفي التحليلي، وقد توصلت هذه الورقة نتيجة مفادها أن المقصد أساسي لنزول القرآن الكريم هو تدبره، والذي يعني في عمومه الوقوف على ما فيه من أوامر والعمل بها، وهو يختلف تماما عن التفسير.

الكلمات المفتاحية: تدبر القرآن الكريم، حقيقة التدبر، الفرق بين التدبر والتفسير.

Abstract

This paper is an original interpretive study that seeks to root a very important concept based on its statement to achieve the purpose of the revelation of the Holy Qur'an, and this concept is contemplation, which is a legitimate duty addressed by God to the general public and their people, and thus the importance of this paper is shown to us in the fact that it is an inductive study that is considered an applied study, and this paper relied on the inductive and deductive method as well as the descriptive-analytical method, and this paper reached the conclusion that The main purpose of the revelation of the Holy Qur'an is its contemplation, which generally means to stand on the commands in it and act upon them, and it is completely different from the interpretation.

Keywords: Contemplation of the Holy Qur'an, The Truth of Contemplation, The Difference Between Contemplation and Interpretation.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه واقتدى بسنته إلى يوم الدين وبعد.

فإن الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن الكريم لهداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [1]، وقال تعالى ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [2]، كما بيّن سبحانه وتعالى أن الحكمة من إنزال القرآن هي أن يقوم الناس بتدبره لتحصل لهم هذه الهداية، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ﴾[3].

سورة البقرة: الآية 1.185
سورة الإسراء: الآية 2.9
سورة ص: الآية 3.29

إن هذا الأمر بالتدبر يحتاج في تطبيقه إلى أن نفهم حقيقة التدبر، وأن نعرف الفرق بينه وبين التفسير؛ لنصحح ذلك المفهوم الخاطئ المنتشر بين كثير من الناس، المتمثل في اعتقادهم أن تدبر القرآن يعني: تفسيره مما أدى إلى عزوفهم عنه؛ لاعتقادهم أنه ليس من اختصاصهم وإنما هو خاص بالعلماء دون غيرهم؛ لذلك كان عنوان هذه الورقة: **(تدبر القرآن الكريم حقيقته وعلاقته بالتفسير).**

مشكلة البحث: تكمن مشكلة البحث في الإجابة على التساؤلات الآتية:

- ما حقيقة التدبر المأمور به في القرآن الكريم؟.
- ما الفرق بين التدبر والتفسير؟.
- ما هي العلاقة بين التدبر والتفسير؟.

أهداف البحث: وهي ورقة تهدف إلى بيان مفهوم التدبر والتأصيل له، وبيان علاقته بالتفسير، وكيف أن للتدبر أثرا في التفسير أصولا وتطبيقا.

أهمية البحث: تظهر اهمية الورقة في كونها دراسة تأصيلية تطبيقية يستفيد منها عامة الناس في امتثالهم لأمر الله لهم بالتدبر، كما يستفيد منها المختصون في علم التفسير في تعاملهم مع القرآن الكريم.

المنهج العلمي: اتبع الباحثان في هذه الورقة المنهج الاستقرائي الاستنباطي، مع الاستعانة بالمنهج الوصفي التحليلي، هذا وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن يتناوله الباحثان في أربعة مطالب جاءت على النحو التالي:

المطلب الأول: مفهوم التدبر.

المطلب الثاني: دلالة الأمر بالتدبر في القرآن.

المطلب الثالث: علاقة التدبر بالتفسير.

المطلب الرابع: نماذج تفسيرية قائمة على تدبر القرآن الكريم.

هذا وقد ذيل الباحثان هذه الورقة بخاتمة حوت أهم النتائج والتوصيات، ثم قائمة للمصادر والمراجع، والله ولي التوفيق.

المطلب الأول: مفهوم التدبر

أولا: التدبر لغة: التدبر في اللغة مشتق من الدبر، وهو آخر الشيء وخلفه، يقول ابن منظور: "الدُّبُرُ والدُّبْرُ: نَقِيضُ القُبُل، ودُبُرُ كُلِّ شَيْءٍ: عَقِبُه ومُؤَخَّرُه؛ وَجَمْعُهُمَا أَدْبارٌ"[4]، يقول ابن فارس: "(دبر) الدال والباء والراء، أصل هذا الباب أن جله في قياس واحد، وهو آخر الشيء وخلفه خلاف قبله"[5].

وعلى هذا فإن التدبر تفعّل بمعنى النظر في عاقبة الشي، فإن المتدبر رأى في عاقبة الشيء ما لم ير في صدره، ومن التدبر يكون التدبير الذي يعني: "أن يدبر الإنسان أمره"[6].

يقول الألوسي رابطا بين هذا المعنى اللغوي للتدبر وبين استعماله في التأمل والتفكر وفي عواقب الأمور على اعتبار أنها أدبارها: "وأصل التدبر التأمل في أدبار الأمور وعواقبها ثم استعمل في كل تأمل سواء كان نظرا في حقيقة الشيء وأجزائه، أو سوابقه وأسبابه، أو لواحقه وأعقابه"[7]، وهذا التأمل والنظر يفضي إلى الوصول إلى الحقيقة وإلى الاعتبار الموصل إلى النجاة، وهذا وجه آخر للمعنى اللغوي للتدبر بيّنه القرطبي في قوله: "ثم عاب المنافقين بالإعراض عن التدبر في القرآن والتفكر فيه وفي معانيه، تدبرت الشيء فكرت في عاقبته... والتدبير أن يدبر الإنسان أمره كأنه ينظر إلى ما تصير إليه عاقبته"[8]، قال محمد رشيد رضا موضحا المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿أفلا يتدبرون﴾: "لو تدبروه حق التدبر لعلموا أنه يهدي إلى الحق، ويأمر بالخير والرشد، وأن عاقبة ذلك لا تكون إلا الفوز والفلاح، والصلاح والإصلاح"[9].

ثانيا: التدبر اصطلاحا: وردت عدة تعريفات للتدبر ومنها ما يلي:

- عرفه محمد رشيد رضا بأنه: "النظر في إدبار الأمور وعواقبها، وتدبر الكلام هو النظر والتفكر في غاياته ومقاصده التي يرمي إليها، وعاقبة العامل به والمخالف له"[10].
- عرفه عبد القاهر الجرجاني بأنه: "التّأمّل في عواقب الأمور وأدبارها وتصرف الرّأي في مفهومها ومعقولها".[11]
- عرفه الجرجاني بأنه: "عبارة عن النظر في عواقب الأمور، وهو قريب من التفكر؛ إلا أن التفكر تصرف القلب بالنظر في الدليل، والتدبر تصرفه بالنظر في العواقب".[12]

ثالثا: مشتقات لفظ الدبر ودلالاتها في القرآن الكريم.

إن المتتبع للفظ الدبر في القرآن الكريم يجد أنه جاء بعدة معانٍ منها:

---

4. لسان العرب لابن منظور، (4/ 268).
5. معجم مقاييس اللغة لابن فارس (2/ 324)
6. المصدر نفسه (2/ 324).
7. تفسير روح المعاني للألوسي (3 / 89).
8. الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (5/ 290)
9. تفسير المنار لمحمد رشيد رضا (5/ 233).
10. تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا، (5/ 233).
11. درج الدرر في تفسير الآية والسور، لعبد القاهر الجرجاني، (1/ 510).
12. التعريفات، للجرجاني، ص54.

- جاء للدلالة على الجهة والمكان، أي بمعنى: الخلف الذي يقابل القبل، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ﴾[13]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ﴾[14]،"ومن دبر، بالضم على مذهب الغايات، والمعنى: من قبل القميص ومن دبره، وأما التنكير فمعناه من جهة يقال لها قبل، ومن جهة يقال لها دبر"[15].

- جاء بمعنى ظهر الإنسان في قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[16]، الأدبار "جمع: دُبر، خلاف القبل، ولم يقل: ظهوركم، أو أعقابكم، وذكر الدّبر: وهو أبشع المفردات لأبشع الكبائر، وهي الفرار، والتولي يوم الزحف، وهذا تحذير شديد، وكأنّه يعني: كيف تولي دبرك للعدو، أو تمكِّن العدو من نفسك، أي: لا يسمح لكم أن تولوهم الأدبار"[17]، كما جاء بنفس المعنى في قوله تعالى: ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾[18]، ودلالة هذا الاستعمال هو لبيان بشاعة الانهزام أمام العدو يقول ابن عطية: "والعبارة بالدبر في هذه الآية متمكنة الفصاحة؛ لأنها بشعة على الفار ذامة له".[19]

وهناك وقفة دلالية أخرى في التفريق بين لفظ الدبر ولفظ الظهر أو العقب، وهو أن "القرآن العظيم يستعمل غالباً الدبر في الانهزام أمام العدو، وفي القتال والانسحاب من أرض المعركة، ويستعمل العقب غالباً في الارتداد عن دين الله، والكفر، والضلال بعد الإيمان"[20]، ومن أمثلة الفرار من أرض المعركة والانهزام أمام العدو جاء قوله تعالى: ﴿إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾[21]،وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ﴾[22]، ومن أمثلة الارتداد عن الدين جاء قوله تعالى: ﴿أَفَإِين مَاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾[23]، وقوله تعالى: ﴿إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾[24].

- جاء بمعنى قفا الإنسان في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا﴾[25]، (على أدبارها) "أي: نَجعلَ ذلك في الأقفيةِ، وهو مسحُ الرَّأس والوجه، فتكونَ الأيدي والبطون والأرجل في مواضعها، والوجهُ بما فيه في القفا، وفيه مِن الخزيِ والقُبحِ ما لا يخفى...وقيل: ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا﴾، أي: نغيّرَ الوجوهَ على هيئة أدبارها، أي: أقفائها، لا عينَ فيها ولا أنفَ ولا فم، لا أن يجعلَ ذلك في الأقفية، بل يبعثُهم عميًا وبكمًا، ليس لهم عينٌ وأنفٌ وفم، وقيل: أي: نجعل وجوهَهم بعد الطَّمس كأقفيتهم منابتَ للشَّعر، كوجوهِ القردة"[26].

وهناك وقفة دلالية أخرى وهي: أنه "يستعمل الرد على الأدبار إما في الحسيات وهو: الهزيمة أو الفرار في القتال، وإما في المعنويات وهو: الرجوع إلى الوراء أي العودة إلى الكفر"[27]، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبارِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى، الشَّيْطانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلى لَهُمْ﴾[28].

- جاء اسم جنس ويراد به الجمع كما في قوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾[29]،"أي: الأَدْبارَ، وهو اسمُ جِنْسٍ يصلُحُ للجَمْع"[30].

- جاء بمعنى ترك الشيء والإعراض عنه بصيغة الفعل أدبر في قوله تعالى: ﴿تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾[31]"، والإدبار: ترك شيء في جهة الوراء لأن الدبر هو الظهر، فأدبر: جعل شيئا وراءه بأن لا يعرج عليه أصلا أو بأن يقبل عليه ثم يفارقه، والتولي: الإدبار عن شيء والبعد عنه، وأصله مشتق من الولاية وهي الملازمة ... ولذلك يكون بين التولي والإدبار فرق، وباعتبار ذلك الفرق عطف وتولى على أدبر أي تدعو من ترك الحق وتولى عنه إلى الباطل، وهذه دقيقة من إعجاز القرآن بأن يكون الإدبار مرادا به إدبار غير تول، أي: إدبارا من أول وهلة، ويكون التولي مرادا به الإعراض بعد ملابسة، ولذلك يكون الإدبار مستعارا لعدم قبول القرآن ونفي استماع دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم".[32]

سورة يوسف: 13.25
سورة يوسف: 14.28
تفسير الكشاف - ومعه الانتصاف ومشاهد الإنصاف والكافي الشاف، (2/ 461). 15
سورة الأنفال: 15-16.16
تفسير القرآن الثري الجامع (الإعجاز البياني واللغوي والعلمي) محمد الهلال (10/ 15).17
سورة آل عمران: الآية 18.111
المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، (2/ 510).19
تفسير القرآن الثري الجامع، (4/ 20).20
سورة الأنفال: الآية 21.15
سورة الفتح: الآية 22.22
سورة آل عمران: 23.144
سورة آل عمران: الآية 24.149
سورة النساء: 25.47
التيسير في التفسير - أبو حفص النسفي، (5/53، 54).26
التفسير المنير، الزحيلي، (5/ 101).27
سورة محمد: الآية 2825
سورة القمر: الآية 29.45
التيسير في التفسير - أبو حفص النسفي، (14/ 169).30
سورة المعارج: الآية 31.17
تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير، (29/ 165).32

- جاء بمعنى الوراء والخلف في قوله تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾[33]، ودلالة ذلك أن الملائكة أمروا لوطا "أن يجعل أهلَه قدامه ويكون من خلفهم، فهو يتبع أدبارهم، أي: ظهورهم؛ ليكون كالحائل بينهم وبين العذاب الذي يحل بقومه بعقب خروجه تنويها ببركة الرسول- عليه الصلاة والسلام-؛ ولأنهم أمروه أن لا يلتفت أحد من أهله إلى ديار قومهم؛ لأن العذاب يكون قد نزل بديارهم، فبكونه وراء أهله يخافون الالتفات لأنه يراقبهم"[34].

- جاء بمعنى الانقضاء، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾[35]،"والأدبار: جمع دبر، وقرئ: وأدبار، من أدبرت الصلاة إذا انقضت وتمت، ومعناه: ووقت انقضاء السجود، كقولهم: آتيك خفوق النجم"[36].

- جاء بمعنى الانصراف، على قراءة الكسر في (إدبار السجود)، "والإدبار: بكسر الهمزة حقيقته: الانصراف؛ لأن المنصرف يستدبر من كان معه، واستعير هنا للانقضاء، أي: انقضاء السجود"[37].

- جاء بمعنى رجوع الشيء من حيث جاء، مثل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾[38]، "والإدبار: رجوع الشيء من حيث جاء لأنه ينقلب إلى جهة الدبر، أي: الظهر، وإدبار النجوم: سقوط طوالعها، فإطلاق الإدبار هنا مجاز في المفارقة والمزايلة، أي: عند احتجاب النجوم[39].

- جاء بمعنى التقدير بمقتضى الحكمة، في قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾[40]، وقوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾[41]، "يدبر الأمر معناه: أنه يقضي ويقدر على حسب مقتضى الحكمة ويفعل ما يفعله المصيب في أفعاله، الناظر في أدبار الأمور وعواقبها، كي لا يدخل في الوجود ما لا ينبغي، والمراد من الأمر الشأن يعني يدبر أحوال الخلق وأحوال ملكوت السموات والأرض"[42].

- جاء بمعنى الآخر بصيغة اسم فاعل (دابر) كما في قوله تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[43]، وقوله تعالى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾[44]، وقوله تعالى: ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾[45]، "والدابر: يقال للمتأخر، وللتابع، إمّا باعتبار المكان، أو باعتبار الزمان، أو باعتبار المرتبة"[46]، ودلالة التعبير بقطع الدابر تفيد الاستئصال[47]، وهو استئصال لهم ولمن يأتي بعدهم "فإذا قُطِعَ الجائي بعدَهم، فقد أُهلِكوا كلُّهم"[48]، وذلك؛ لأن التعبير بدابر القوم يعني "آخرُهم والآتي بعدهم ... وإذا قطعَ آخرَهم لم يبقَ منهم أحدٌ"[49].

- جاء للكناية عن الانهزام في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾[50]، الأدبار "جمع دبر، ودبر الشيء خلاف القُبل؛ أي: الخلف، وتولية الأدبار كناية عن الانهزام الملزوم لتولية الأدبار"[51].

رابعا: المقصود بتدبر القرآن الكريم.

جاء في بعض كتب التفسير بيان ارتباط لفظ التدبر بالقرآن الكريم وشرح مفهومه وفيما يلي نستعرض ما جاء في هذا الشأن ومن ذلك:

1- عُرف تدبر القرآن بأنه: "معنى تدبر القرآن تأمل معانيه وتفكر في حكمه وتبصر ما فيه من الآيات"[52].

2- وعُرف بأنه: "تأمل معانيه وتبصر ما فيه"[53].

سورة الحجر: الآية 33.65
تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير، (14/ 64).34
سورة ق: الآية 35.40
تفسير الكشاف للزمخشري، (4/ 393).36
37 تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير، (26/ 328).
سورة الطور: الآية 38.49
تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير، (27/ 85).39
سورة الرعد: الآية 40.2
سورة السجدة: الآيتان 41.5-4
تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، (17/ 192).42
سورة الأنعام: الآية 43.45
سورة الأعراف: الآية 44.72
سورة الأنفال: الآية 45.7
المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني ص307. 46
ينظر تفسير الكشاف (2/ 199).47
التيسير في التفسير - أبو حفص النسفي، (6/ 71).48
المصدر السابق، (7/ 152).49
سورة الحشر: الآية 50.12
تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، للهرري (29/ 143).51
لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن، (1/ 402).52
تفسير الكشاف، للزمخشري، (1/ 540).53

3- وعُرف بأنه: "تدبر إشارة المعاني بغوص الأفكار، واستخراج جواهر المعاني بدقائق الاستنباط"[54]، وقال أيضا: "التدبُّر: إثارةُ المعاني بغوصِ الأفكار، واستخراجُ جواهرِ المعاني بدقائقِ الاعتبار"[55].

4- عُرف بأنه: والتَّدبُّر في القرآن: التأمُّلُ في معانيه بعد تلاوته أو سماعه، أو طلبُ ما يَؤول إليه ظاهرُه مِن المعنى المرادِ به، ودلَّ هذا على بطلانِ التَّقليد، ووجوبِ طلبِ الدَّليل، وأنَّه حظُّ أهلِ العلم"[56].

5- عُرف أيضا بأنه: "يعني الفهم والتأمل والتفكر في آيات القرآن، والتدبر يعني: النظر في المعنى ومدلول اللفظ ظاهره وباطنه ومعطياته، وتطبيق أوامره والعمل به"[57].

6- عُرف بأنه: "التفكر والتأمل الذي يبلغ به صاحبه معرفة المراد من المعاني، وإنما يكون ذلك في كلام قليل اللفظ كثير المعاني التي أودعت فيه بحيث كلما ازداد المتدبر تدبرا انكشفت له معان لم تكن بادية له بادي النظر... وهو صيغة تكلف مشتقة من فعل: دبر بوزن ضرب، إذا تبع، فتدبره بمنزلة تتبعه، ومعناه: أنه يتعقب ظواهر الألفاظ ليعلم ما يدبر ظواهرها من المعاني المكنونة والتأويلات اللائقة"[58].

إن جميع التعريفات السابقة تعرف التدبر على أساس أنه تأمل، إلا أننا لو تتبعنا كلام بعض من أراد أن يبين مفهوم التدبر وحقيقته نجد أن التدبر يقوم على ركيزتين هما: العلم الناتج عن التأمل والعمل المتأسس يقول الحسن البصري: ليس تدبر القرآن حفظه وتعلم حروفه فقط، ولكن تدبره العمل به والقيام بما جاء فيه، أي: أن التدبر يقوم على الاتباع على بصيرة، قال الحسن: "تدبر آياته اتباعه، وليتذكر ليتعظ أولوا الألباب"[59]، وفي العموم يمكن القول أن معنى الأمر بتدبر القرآن هو في قوله (ليدبروا) هو: الوقوف على ما فيه والعمل بما فيه.

المطلب الثاني: دلالة الأمر بالتدبر في القرآن

أولا: مواضع الأمر بالتدبر في القرآن.

ورد الأمر بالتدبر في أربعة مواضع هي:

- قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [60].

- قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾[61].

- قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[62].

-قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾[63].

ثانيا دلالة سياق الآيات

إن هذه الآيات منها ما نزل في سياق المنافقينَ، وهما قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾، ومنها ما نزل في سياقِ الكفَّارِ، وهما قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾، وقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، وتحتملُ آيةُ سورةِ: "ص" أن يكون المؤمنونَ داخلونَ في الأمرِ بالتَّدبُّرِ، ويشهدُ له قراءةُ من قرأ: ﴿لتدبروا آياته﴾ بالتاء، بمعنى: لتتدبَّره أنت يا محمد وأتباعُك، وليس نزولُ الآيةِ في سياق غيرِ المؤمنينَ يعني أنَّ المؤمنينَ لا يُطلبُ منهم التَّدبُّرُ، بل هم مأمورونَ به، وداخلونَ في الخطاب من باب أولى؛ لأنَّهم أهلُ الانتفاعِ بتدبُّرِ القرآنِ، كما أن هناك دلالة أخرى لسياق الآيات وهي أن منها ما جاءَ على شيءٍ مخصوصٍ كقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ ومنها ما جاءَ مطلَقاً بالتَّدبُّرِ العامّ، كقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[64].

ثالثا: دلالة الأسلوب

- جاء الأمر بأسلوب الاستفهام الإنكاري والتوبيخي في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[65]،"دلت هذه الآية، وقوله تعالى: ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ على وجوب التدبر للقرآن

---

54. لطائف الإشارات، للقشيري، (1/ 350).
55. التيسير في التفسير، للنسفي، (5/ 126).
56. المصدر السابق، (5/ 125).
57. تفسير القرآن الثري الجامع، لمحمد هلال، (26/ 64).
58. تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير، (23/ 252).
59. تفسير البغوي (4/ 67).
60. سورة النساء: الآيات 81-83.
61. سورة المؤمنون: الآية 68.
62. سورة ص: الآية 29.
63. سورة محمد: الآيات 24 - 27.
64. ينظر: مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، مساعد الطيار (ص186).
65. سورة النساء: الآية 82.

ليعرف معناه"[66]، ووجه الدلالة فيها هو: أن "استفهامٌ بمعنى الأمر"[67]، "وهذا أمر بالنظر والاستدلال"[68]، كما أن في هذا الأسلوب "حض على التفكر في معانيه لتظهر أدلته وبراهينه"[69]، مما يؤكد على ضرورة التزام هذا الأمر، ومما يفيد ذلك أيضا أن هذا الأسلوب فيه "إنكارٌ واستقباحٌ لعدم تدبُّرهم القرآنَ وإعراضِهم عن التأمل فيما فيه من موجبات الإيمان وتدبر الشيء تأمّلُه والنظرُ في أدباره وما يؤول إليه في عاقبته ومنتهاه ثم استعمل في كل تفكرٍ ونظرٍ"[70]، يقول البقاعي مبينا ما أفادته هذه الآية من وجوب التدبر: "قال المهدوي: وهذا دليل على وجوب تعلم معاني القرآن وفساد قول من قال: لا يجوز أن يؤخذ منه إلا ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم، ومنع أن يتأول على ما يسوغه لسان العرب، وفيه دليل على النظر والاستدلال"[71].

- جاء الأمر بأسلوب الاستفهام في قوله: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾[72]، القول هنا يعني: القرآن يقول القرطبي: "قوله تعالى: (أفلم يدبروا القول) يعني القرآن، وهو كقوله تعالى: "(أفلا يتدبرون القرآن)، وسمي القرآن قولا؛ لأنهم خوطبوا به"[73]، ووجه الدلالة على وجوب التدبر في هذه الآية يبينه لنا الشنقيطي فيقول: "يتضمن حضهم على تدبر هذا القول الذي هو القرآن العظيم؛ لأنهم إن تدبروه تدبرًا صادقًا علموا أنه حق، وأن اتباعه واجب وتصديق من جاء به لازم"[74].

- جاء بأسلوب بيان الحكمة من نزول القرآن في قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[75]، يقول ابن عطية: "ظاهر هذه الآية يعطي أن التدبر من أسباب إنزال القرآن"[76]، وهذه الآية أفادت أن التدبر واجب، وذلك على القاعدة التي تقول ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وتفصيل ذلك: "أنّ تدبُّر القرآن فرض؛ لأن العملَ بالقرآن فرضٌ، ولا يتمّ العملُ إلا بالتدبُّر، وما لا يتمُّ الفرضُ إلا به فهو فرض، ولكن هل التدبر فرض عين، أم فرض كفاية؟ حسب الحال، قد يكون فرضَ عين، وقد يكون فرضَ كفاية، فما لا يتمّ دينُ العبدِ إلا به، فهو فرضُ عين، وما زاد على ذلك، فهو فرضُ كفاية، ولا بد أن يكون في الأمة الإسلامية مَن يفهم القرآن"[77].

- جاء بأسلوب الاستفهام الإنكاري والتوبيخي في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[78]، وهذا الأسلوب كما يقول ابن عطية: "توقيف وتوبيخ"[79]، "أي: إن تدّبروا القرآن أفضى بهم إلى العرفان، وأراحهم من ظلمة التحيّر"[80]، وعليه فإن "التدبر إنما يكون لمن التفت إلى المقاصد، وذلك ظاهر أنهم أعرضوا عن مقاصد القرآن فلم يحصل منهم تدبر"[81].

المطلب الثالث: علاقة التدبر بالتفسير

أولا: الفرق بين التدبر والتفسير

في العموم يمكن التفريق بين التدبر والتفسير في كون أن التدبر غاية، بينما التفسير وسيلة، كما أن التدبر عملية قلبية قائمة على التذوق والوجدان بينما يعد التفسير عملية عقلية قائمة على التفكر ولها أدوات معينة، كما أن التدبر مأمور به كل الناس المؤمن منهم وغير المؤمن، بينما التفسير يتصدر له طائفة معينة من الناس.

ويمكن التفريق بين التدبر والتفسير من عدة وجوه:

1 - أنَّ التفسير هو كشف المعنى المراد في الآيات، والتدبر هو ما وراء ذلك من إدراك مغزى الآيات ومقاصدها، واستخراج دلالاتها وهداياتها، والتفاعل معها، واعتقاد ما دلت عليه وامتثاله.[82]

2 - أنَّ التدبر أُمر به عامة الناس للانتفاع بالقرآن والاهتداء به، ولذلك خوطب به ابتداءً الكفار في آيات التدبر، والناس فيه درجات بحسب رسُوخ العلم والإيمان وقوة التفاعل والتأثر.

وأما التفسير فمأمور به بحسب الحاجة إليه لفهم كتاب الله تعالى بحسب الطاقة البشرية، والناس فيه على درجات أيضًا.

فتح القدير، للشوكاني، (1/ 567). والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (5/ 290).66

التيسير في التفسير، للنسفي، (5/ 125).67

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (2/ 83).68

التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي، (1/ 201).69

إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، (2/ 207).70

(5/ 340). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي،

سورة المؤمنون: الآية 68.

الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (12/ 139).73

أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي، (5/ 874).74

سورة ص: الآية 29. 75

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، (4/ 503).76

تفسير العثيمين، ص146.77

سورة محمد: الآية 24. 78

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، (5/ 119).79

لطائف الإشارات، للقشيري، (3/ 413).80

محاسن التأويل، للقاسمي (1/ 40).81

الدليل إلى القرآن، عمرو الشرقاوي ص116.82

3 - أنَّ التدبر لا يحتاج إلا إلى فهم المعنى العام مع حسن القصد وصدق الطلب، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾[83]، أمَّا التفسير فله شروط ذكرها العلماء؛ لأنه من القول على الله، ولذا تورع عنه بعض السلف.
ومما ينبغي التأكيد عليهك أن يُعلم أنَّ الناس على درجات متفاوتة في التدبر بحسب آلاتهم وإمكاناتهم، فليس تدبر العالم المتبحر في الشريعة كتدبر العامي، ولكل درجات، والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم.

ثانيا: الأمر بالتدبر والتأصيل لمشروعية التفسير

إن حكم تدبر القرآن هو الوجوب، وهذا الحكم قد صرح به العديد من العلماء من المفسرين حيث استدلوا بالآيات الآمرة بالتدبر على وجوب تدبر القرآن ليعرف معناه [84]، ومن هذا الحكم جاء الاستدلال على مشروعية تفسير القرآن الكريم، يقول الطبري في بيان الاستدلال بالأمر بالتدبر على مشروعية التفسير: "وفي حثِّ اللهِ عز وجل عبادَه على الاعتبارِ بما في آيِ القرآنِ مِن المواعظِ والبيناتِ - بقولِه جلّ ذكرُه لنبيِّه صلى الله عليه وسلم: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ... وما أشْبَهَ ذلك مِن آيِ القرآنِ التي أمَر اللهُ عبادَه وحثَّهم فيها على الاعتبارِ بأمثالِ آيِ القرآنِ والاتِّعاظِ بمَواعظِه ما يَدُلُّ على أن عليهم معرفةَ تأويلِ ما لَمْ يُحْجَبْ عنهم تأويلُه مِن آيِه؛ لأنه مُحالٌ أن يُقالَ لمن لا يَفْهَمُ ما يُقالُ له، ولا يَعْقِلُ تأويلَه: اعْتَبِرْ بما لا فهمَ لك به ولا معرفةَ مِن القيلِ والبيانِ [والكلامِ]. إلا على معنى الأمرِ بأن يَفْهَمَه ويَفْقَهَه، ثم يَتَدَبَّرَه ويَعْتَبِرَ به، فأما قبلَ ذلك فمستحيلٌ أمرُه بتدبره، وهو بمعناه جاهلٌ"[85].
مما سبق ندرك أن التفسير بالرأي يقوم في نشأته على "التدبر والفهم لكتاب الله سبحانه وتعالى والاستعانة في ذلك بالعلوم الخادمة لهذا الغرض الجليل، وهي كثيرة تعددت وتنوعت فمنها: علوم العربية نحوها وصرفها وبلاغتها، وما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قولا وعملا، وغير ذلك من العلوم الكثيرة."[86]، فقد دلت آيات الأمر بالتدبر على وجوب تدبر القرآن؛ "ليعرف معناه وكان في هذا ردّ على من قال: لا يؤخذ تفسير القرآن إلّا عن النبيّ صلى الله عليه وسلم"[87].

ثالثا: التلازم بين التدبر والتفسير

إن علاقة التدبر بالتفسير هي علاقة تلازم، وهذه العلاقة تتمثل في أن التدبر هو: أصل في فهم المعنى، يقول الزركشي: "أَصِلُ الْوُقُوفَ عَلَى مَعَانِي الْقُرْآنِ التَّدَبُّرُ وَالتَّفَكُّرُ"[88]، كما أنه لن يكون تدبر إلا بعد فهم المعنى، أي: أنه "لا يكون التدبر بغير فهم ولا فهم إلا بعد تفسير"[89]، "والأصلُ أنَّ مرحلةَ التَّدبُّرِ تأتي بعدَ الفَهْمِ... وأنَّ التَّدبُّرَ يكونُ فيما يتعلَّقُ بالتَّفسيرِ؛ أي أنَّه يتعلَّقُ بالمعنى المعلومِ"[90]، يقول الفراهي مبينا هذا التلازم: "المعرفة بالألفاظ المفردة هي الخطوة الأولى في فهم الكلام، وبعض الجهل بالجزء يفضي إلى زيادة جهل بالمجموع، وإنما يسلم المرء عن الخطأ إذا سد جميع أبوابه. فمن لم يتبين معنى الألفاظ المفردة من القرآن أغلق عليه باب التدبر، وأشكل عليه فهم الجملة، وخفي عنه نظم الآيات والسورة"[91].
إن هذا التلازم بين التدبر والتفسير دل عليه اقتران التدبر بالاستنباط في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[92]، فتدبر الأمر يعني: "تأمله والنظر في إدباره وما يؤول إليه في عاقبته ومنتهاه، ثم استعمل في كل تأمل فمعنى تدبر القرآن: تأمل معانيه وتبصر ما فيه"[93]، بينما دل على التفسير لفظ: (يستنبطونه)، يقول الشيخ ابن عاشور: "والاستنباط حقيقته طلب النبط- بالتحريك- وهو أول الماء الذي يخرج من البئر عند الحفر وهو هنا مجاز في العلم بحقيقة الشيء ومعرفة عواقبه، وأصله مكنية: شبه الخبر الحادث بحفير يطلب منه الماء، وذكر الاستنباط تخييل، وشاعت هذه الاستعارة حتى صارت حقيقة عرفية، فصار الاستنباط بمعنى التفسير والتبيين"[94].
كما دل على هذا التلازم بين التدبر والتفسير قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[95]، فلفظ (يتذكر) يدل على التفسير؛ لأنه عملية عقلية أسند إلى طائفة معينة من الناس وهم العلماء يقول البقاعي: "ولما كان السياق للذكر، وأسند إلى خلاصة الخلق، وكان استحضار ما كان عند الإنسان وغفل عنه لا يشق لظهوره، أظهر التاء حثاً على بذل الجهد في إعمال الفكر والمداومة على ذلك فإنه يفضي بعد المقدمات الظنية إلى أمور يقينية قطعية إما محسوسة أولها شاهد في الحس فقال: (وليتذكر)، أي: بعد التدبر تذكراً عظيماً جلياً"[96].

---

83. سورة القمر: الآية 17
84. يراجع الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، (5 / 290)، فتح القدير للشوكاني، (1/ 567)، محاسن التأويل للقاسمي، (5 / 172).
85. جامع البيان، للطبري، (1/ 77).
86. مناهج المفسرين، منيع عبدالحليم (ص7).
87. إعراب القرآن للنحاس (1/ 228).
88. البرهان في علوم القرآن (2/ 180). 88
89. الأصلان في علوم القرآن، للقيعي ص127.
90. مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفس، ص187.
91. مفردات القرآن للفراهي، ص50.
92. سورة النساء: الآيات 81-83.
93. تفسير الكشاف للزمخشري، (1/ 540).
94. التحرير والتنوير، (5/ 141).
95. سورة ص: الآية 29.
96. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، (16/ 376).

المطلب الرابع: نماذج تفسيرية قائمة على تدبر القرآن الكريم

إن تفسير القرآن الكريم القائم على التدبر في الآيات له نماذج من تفسير الصحابة ومن ذلك:

النموذج الأول: تفسير ابن عباس لقوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾[97]،"قال: ذاك حينَ نعَى له نفسَه، يقولُ: إذا رأيتَ الناسَ يَدْخُلون في دينِ اللَّهِ أفواجًا؛ يعنى إسلامَ الناسِ، يقولُ: فذلك حينَ حضَر أجلُك، (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا)"[98]، فابن عباس رضي الله عنه نظر في باطن الآية ولم ينظر إلى ظاهرها وهذا النظر هو في حقيقته تدبر مبني على تأمل لا يصل إليه إلا الراسخون في العلم، "فظاهر هذه السورة أن الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يسبح بحمد ربه ويستغفره إذ نصره الله وفتح عليه، وباطنها أن الله نعى إليه نفسه"[99].

النموذج الثاني: تدبر عمر رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[100] لما نزلت هذه الآية فرح الصحابة وبكى عمر مُسْتَشْعِرًا نَعْيَهُ عليه الصلاة والسلام "عن هارونَ بن عنترةَ، عن أبيه، قال: لما نزَلت: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) وذلك يومُ الحجِّ الأكبرِ، بكَى عمرُ، فقال له النبيُّ صلى الله عليه وسلم: "ما يُبْكِيكَ؟ "قال أبكاني أنَّا كنا في زيادةٍ مِن ديننا، فأما إذا كمَل فإنه لم يَكْمُلْ شيءٌ إلا نقَص. فقال: صَدَقْتَ"[101]

النموذج الثالث: تدبر أبي الدحداح لقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[102]، لما نزلت هذه الآية جاء أبو الدحداح إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "يا نبي الله ألا أرى ربنا يستقرضنا مما أعطانا لأنفسنا، وإن لي أرضين إحداهما بالعالية والأخرى بالسافلة وإني قد جعلت خيرهما صدقة"[103]، فقد فهم أبو الدحدح أن الله غني عن خلقه، وإنما يريد أن يمن عليهم بالأجر والثواب، بينما قالت اليهود فيما قال الله عنهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾[104]، يقول الشاطبي مستدلا بهذه الحادثة على أن فهم الباطن ينبغي أن يكون مبينا على التدبر: "ففهم أبي الدحداح هو الفقه، وهو الباطن المراد ... وفهم اليهود لم يزد على مجرد القول العربي الظاهر"[105].

النموذج الرابع: عدم تدبر الكفار في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾[106]، فقد نظروا إلى ظاهر العدد، روى ابن كثير أنه لما نزلت هذه الآية "قيل إن أبا الأشدين واسمه: كلدة بن أسيد بن خلف قال: يا معشر قريش اكفوني منهم اثنين، وأنا أكفيكم منهم سبعة عشر إعجابًا منه بنفسه، وكان قد بلغ من القوة فيما يزعمون أنه كان يقف على جلد البقرة ويجاذبه عشرة لينزعوه من تحت قدميه فيتمزق الجلد ولا يتزحزح عنه"[107]، "ولما كان هذا غير مميز للمعدود، وكانت الحكمة في تعيين هذا العد غير ظاهر، وكان هذا العدد مما يستقله المتعنت فيزيده كفراً"[108]، بين الله سبحانه وتعالى باطن الأمر بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾[109].

إن المتأمل في هذه الآيات آنفة الذكر، يجد أنها جاءت بين ذكر نوعين من الإدبار، إدبار الكفار عن القرآن ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾، وإدبار الزمان المقسم به في أسلوب الإضراب في قوله تعالى ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ ،"كَلَّا ردع لمن أنكر العدة أو سقر أو الآيات، أو إنكار لأن تكون لهم ذكرى لأنهم لا يتذكرون، (وَالْقَمَرِ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ) أي: ولى ذاهبا بطلوع الفجر"[110]

الخاتمة

في نهاية هذه الورقة نورد أهم ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات

أولا النتائج:

- إن التدبر مقصد أساسي لنزول القرآن الكريم، وهو يعني في عمومه الوقوف على ما في القرآن الكريم والعمل به.
- إن لمشتقات لفظ التدبر في القرآن الكريم عدة دلالات تدور أغلبها على المعنى اللغوي للتدبر الذي يعني النظر في عواقب الأمور لمعرفة ما آلت إليه والاعتبار بها.

- سورة النصر: الآيات 1-3.97
-. تفسير جامع البيان، للطبري، (24/ 709).98
-. الموافقات، للشاطبي، (4/ 211).99
- سورة المائدة: الآية 3. 100
-جامع البيان، للطبري، (8/ 81).101
- سورة البقرة: الآية 102.245
الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي، (1/ 746). -103
- سورة آل عمران: الآية 181. 104
-الموافقات، للشاطبي (4/ 218).105
-سورة المدثر: الآية 30. 106
- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (7/ 425).107
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، (21/ 62).108
-سورة المدثر: الآية 31. 109
- محاسن التأويل، للقاسمي، (9/ 358).110

- إن هناك فرقا بين التدبر والتفسير يمكن إجماله في كون التدبر يعنى بمقاصد القرآن والاستفادة بما في الآيات من عبر، بينما التفسير يعنى بفهم المعاني الظاهرة، إلا أن هذا الفرق لا يعني أنه لا توجد علاقة بين التدبر والتفسير، والعلاقة بينهما هي علاقة تلازم، وكل واحد منهما يؤثر في الآخر ويتأثر به.
- هناك الكثير من النماذج التفسيرية للتدبر، تبين من خلالها كيف كان أن التدبر يقوم على النظر في باطن الآية والاعتبار بما فيه من عاقبة، ولا يكتفى بظاهر المعنى.

ثانيا التوصيات

- ضرورة دراسة موضوع التدبر والتأصيل لفقه تدبر القرآن الكريم حتى يتسنى للناس تطبيق أمر الله بالتدبر.
- السعي إلى تصحيح المفاهيم الخاطئة عن التدبر والتي أدت إلى عزوف الكثير من الناس عنه لظنهم أن الأمر بالتدبر خاص بالمفسرين دون غيرهم من الناس.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم بن أبي النجود.

1. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت 982هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
2. الأصلان في علوم القرآن، أ. د. محمد عبد المنعم القيعي رحمه الله، حقوق الطبع محفوظة، الطبعة: الرابعة مزيدة ومنقحة 1417هـ- 1996م.
3. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (1325ه – 1393م)، دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت)، الطبعة: الخامسة، 1441هـ - 2019م.
4. إعراب القرآن، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت 338هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1421هـ.
5. البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت 794 هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم [ت 1401 هـ]، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه
6. التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984هـ.
7. التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت 741هـ)، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، ط: 1- 1416هـ.
8. التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت 816هـ)، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ -1983م.
9. تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت310هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - القاهرة، مصر، الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2001م.
10. تفسير القرآن الثري الجامع (في الإعجاز البياني واللغوي والعلمي)، محمد الهلال، (دار المعراج، ودار جوامع الكلم)، دمشق – سوريا.
11. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت 1354هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.
12. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع– السعودية ، الطبعة: الأولى، 1431هـ.
13. تفسير القرآن الكريم «سورة ص» محمد بن صالح العثيمين، دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض- السعودية، الطبعة: الأولى، 1425هـ - 2004م.
14. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، دار الفكر (دمشق - سورية)، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، الطبعة: الأولى، 1411هـ - 1991م.
15. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي [ت 1441 هـ]، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1421هـ - 2001م.
16. التيسير في التفسير، نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي (461 - 537 هـ)، دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، أسطنبول– تركيا، ط: 1، 1440هـ - 2019م.
17. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964م.
18. الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، دار الفكر – بيروت.
19. دَرْجُ الدُّرر في تَفسِير الآيِ والسُّوَر، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت 471هـ)، دار الفكر - عمان، الأردن، ط: 1الأولى، 1430هـ - 2009م.

20. الدليل إلى القرآن (سؤال وجواب)، عمرو الشرقاوي، العصرية للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، الطبعة: (الإصدار الثاني) الثالثة، 1444هـ - 2022م.
21. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت 1270هـ)، ضبطه وصححه: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1415هـ - 1994م.
22. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت 1250هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – 1414هـ.
23. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري [ت 538 هـ]، ضبطه وصححه ورتّبه: مصطفى حسين أحمد، دار الريان للتراث بالقاهرة، الطبعة: الثالثة 1407هـ - 1987م.
24. لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت 741هـ)، دار الكتب العلمية بيروت، ط: 1، 1415ه.
25. لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت 741هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1415هـ.
26. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت 711هـ)، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر- بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414ه.
27. لطائف الإشارات = تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت 465هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة: الثالثة.
28. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت 1332هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1418هـ.
29. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت 542هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى- 1422هـ.
30. معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: 510هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة: الأولى، 1420هـ.
31. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت 395هـ)، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون [ت 1408 هـ]، شركه مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، وصورتها: (دار الجيل، ودار الفكر) - (بيروت)، الطبعة: الثانية، (1389 - 1392هـ) (1969 - 1972م).
32. مفاتيح الغيب= التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت 606هـ): دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - 1420هـ.
33. مفردات القرآن- نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية، عبد الحميد الفراهي الهندي (ت 1349هـ)، تحقيق: د. محمد أجمل أيوب الإصلاحي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، 2002م.
34. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت 502هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، الطبعة: الأولى - 1412ه.
35. مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، 1427ه.
36. مناهج المفسرين، منيع بن عبد الحليم محمود (ت 1430هـ)، دار الكتاب المصرى - القاهرة، دار الكتاب اللبنانى – بيروت، 1421هـ - 2000م.
37. الموافقات، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي (ت 790 هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، تقديم: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار ابن عفان، الطبعة: الأولى، 1417هـ - 1997م.
38. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت 885هـ)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الهند، الطبعة: الأولى، (1389 - 1404هـ) (1969 - 1984م).